إن كنتم قد ولتعم بالجفاء وس ... سلّ َمتم لي الهمّ َ تسليمي إلى الحرس .

فكلّ ُ ماءٍ سرت فيه مراكبكم ... دمعي وكلّ ُ هواءٍ مزعجٍ نفسي .

وقال : وقع بيني وبين أولاد الشيخ واقع أوجب تركي لهم بعد ودّ ٍ أكيد . فشكوني إلى الكامل . فتنكّ َر لي وتنمّ َر وعبس وقال : ما لي أرى فخر الدين عتبان عليك ؟ قلت : لسوء معاملته لي فقلت : إن رسم مولانا السلطات خلّ َد ا ملكه أن أكون جليس بيتي وأنقطع عن الخدمة فعلت ذلك داعياً لأيامه . فإني عاجز عن مداراة هؤلاء . فقال : لا أكلّ ِفك هذا ولكن آمر الغلمان أنهم متى رأوك أخذوا نعالك . قال : فهوّ َنت ذلك وقلت : ما عسى أن يبلغ بي إذاً ؟ ثم أمرني بالملازمة فجعلت أجيء فكما يقع عليّ َ عين الغلمان أخذوا نعلي من رجلي فأدخل إليه مرةً حافياً ومرةً بخفافي وقد تنجّ َست بالطين . فإذا أردت أن أطأ البساط نادى السلطان ومن حضره : لا تنجّ ِس البسط . فدخلت إليه يوماً وأنشدته : من الكامل .

مولاي إنّ َك قد قتلت حواسدي ... لو يعلمون بأحسن الألطاف .

ما إن أمرت بخلع نعلي دائماً ... إلا لتجعلني كبشر الحافي .

قال : فتبسّم وقال : نعم أحسناً إليك ورفعناك إلى هذه الدرجة فاشكرنا إذ جعلناك مثل ذلك الرجل الصالح ولم يغيّ ِر شيئاً . ثم دخلت يوماً وقد رشّ ُوا الطريق بالماء فملأت خفافي بالطين وصاح الغلمان : لا تدس البسط . فتقدمت وأنشدت : من السريع .

يا ملك الدنيا ومن حازها ... بعدله والبذل والباس .

أمرتني أن لا أطأ حافياً ... بساطك المغتصّ َ بالناس .

قلي ما أصنع في قدرتي ... أجعل رجليّ َ على راسي .

قال : فتبسّم ولم يغيّ ِر شيئاً . فعجزت وقصرت حيلتي وجعلت أحلف له أن ذلك بلغ مني مبلغاً عظيماً ولقيت منه شدّةً وأسأله العفو فلا يزيدني على الضحك . فشكوت ذلك إلى الصّلاح الإربلي الشاعر فقال : عندي لك حيلة إن شكرتها لي علّ َكمتكها . فقلت : ما أشكرني لما يذهب عني هذه الوصمة . فقال : إذا دخلت على السلطان فقع على نعله وخذها بمنديلك وقل : يا مولانا إنّ َ نعلي قد استجارت بهذه النعل كما أن صاحبها ملك الملوك . قال : ففعلت ذلك فضحك حتى استلقى وقال : بحياتي من علّ َمك هذا ؟ قلت : صلاح الدين قال : قد علمت أنها من فعلاته وأعفاني . ومن شعره : من الكامل .

عاتبتها فسقت بنرجس لحظها ... ورداً بفرط حيائه يتورّ َد .

صنمٌ تعبّ َد ناظري بجماله ... فلواحظي أبداً إليه تسجد .

وكتب تحتها قولي : فلوا حظي أبداً إليها تسجد من البديع . فكتب الكامل تحته : أخذت هذا من قول الشاعر : من المنسرح .

ولي حبيبٌ لم تبد صورته ... للنّاس إلاّ صلّت له الحدق .

فأقسم له بحياته أنه لم يسمع ذلك .

الحلاّج .

الحسين بن منصورٍ الحلاّج الزاهد المشهور من أهل البيضاء بلدة بفارس .

نشأ بواسط والعراق وصحب الجنيد وغيره . والناس مختلفون في أمره فمنهم من يبالغ في تعظيمه ومنهم من يكفّره . قال ابن خلكان : ورأيت في كتاب مشكاة الأنوار لأبي حامد الغزالي فصلاً طويلاً في حاله . وقد اعتذر له عن الألفاظ التي كانت تصدر عنه مثل قوله : أنا الحقّ وما في الجبّة إلا ا . وهذه الإطلاقات التي ينبو السّمع عنها وعن ذكرها وحملها كلّها على محامل حسنةٍ وأوّلها وقال : هذا من فرط المحبّة وشدّة الوجد . وجعل هذا مثل قول القائل : من الرمل .

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... فإذا أبصرتني أبصرتنا .

ومن الشعر المنسوب إليه على اصطلاحهم وإشاراتهم قوله : من البسيط .

لا كنت إن كنت أدري كيف كنت ولا ... لا كنت إن كنت أدري كيف لم أكن .

وقوله أيضاً على هذا الاصطلاح : من البسيط .

ألقاه في اليمّ مكتوفاً وقال له : ... إيّاك إيّاك أن تبتلّ بالماء .

وقال أبو بكر بن ثوابة القصري : سمعت الحسين بن منصور وهو على الخشبة يقول : من الوافر .

طلبت المستقرّ بكلّ أرضٍ ... قلم أر لي بأرضٍ مستقّرا .

أطعت مطامعي فاستعبدتني ... ولو أنّي قنعت لكنت حرّا .

والبيت الذي قبل قوله : لا كنت إن كنت أدري : من البسيط